Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حزنها على أخيها الراحل بهذا التتابع لكلمة « فتى » فى صدر كل بيت ، والاستغناء عن الضمير قبله ، كأنما جاشت عواطفها فانفجرت نبعا دافقا فى موجة واحدة توالت فيها مناقب الفقيد ومزاياه الحسية والمعنوية دون توقف ، وكأنما كان ذكر هذا المسند إليه فى صدر كل بيت فاصلا يخمد إحساسها المتوقد ويوهن من تدفق النبع المنساب . وفى مقام الرثاء أيضا قد يكون إسقاط بعض أجزاء الكلام دلالة على الإحساس بفداحة الخطب والذهول لهول المصاب بحيث يكون التصريح بالحقيقة شيئا أليما لا تطيق النفس إعلانه أو سماعه . وذلك ما يتراءى فى قول النابغة عن حصن بن حذيفة :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسُهم ... وكيف بحصن والجبالُ جنوحُ ؟
ولم تلفِظْ الموتَى القبورُ ، ولم تزُلْ ... نجوم السماء ، والأديم صحيح
فعما قليل ، ثم جاء نَعِيُّه ... فظل نَدِيُّ الحى وهو ينوح

فثمة جزء محذوف من الكلام بعد اسم « حِصْن » لا يتم المعنى إلا به ، لأنه الخبر وهذا الجزء الذى تركه الشاعر قصدا أوقع فى دلالة تأثير خبر الموت على النفس وأغنى فى تصوير مشاعر الهلع التى استحوذت على الناس واحتبست بها الكلمات فى أفواههم لا يتجاسرون على النطق بها . ولهذا كان عبدالقاهر صادق الحس حين وصف الحذف فى الكلام بأنه « باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت من الإفادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبن »(٥٣) وربما كانت دلالة الحذف فى قول النابغة السابق من الوضوح بحيث لا تتطلب كثيرا من النظر والتأمل ، لكن هذه الدلالة كثيرا ما تكون خفية صعبة المنال ، وبخاصة إذا كان نمط الحذف شائع الاستخدام ، مثل حذف المبتدأ لسبق ما يدل عليه ، فاستشراف دلالة الحذف حينئذ تحتاج إلى قراءة نقدية عميقة ودربة عالية فى مجال تذوق الأساليب وتحليلها . خذ مثلا مطلع قصيدة « الهلال » لأحمد شوقى :

سنونَ تعادُ ودهر يعيدْ ... لعَمرك ما فى الليالى جديدْ

---

(٥٣) دلائل الأعجاز ص ١٤٦ .